الذات الشاعرة في الشعر الأموي الفرزدق أنموذجا

-دراسة نقدية-

The Poetic Self in Umayyad Poetry: Al-Farazdaq as a Model -A Critical Study-

م.د.حفصة عمر إبراهيم

كلية الإمام الأعظم الجامعة/ قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنكليزية

hafsaomar@imamaladham.edu.iq

الملخص

يعد النتاج الأدبي والشعري منه على وجه الخصوص، التعبير الأوفى عن خلجات النفس للكشف عن الذات المبدعة التي تستتر خلف مبدعها، فعبرها نتعرف على عالمه الداخلي العميق، وما يحتويه من أفكار، وتطلعات، ومايحيط بها من ظروف، فالإبداع الشعري هو خلاصة ما تريده الذات وفق دوافع نفسية ومؤثرات داخلية وخارجية، فتتصارع ذات المبدع منصهرة في بوتقة إبداعه معبرة عن نفسها وعلى أثرها تتولد المعاني اللصيقة بذات المبدع، فتتكشف معاني تحمل دلالة الحزن والفرح والتأمل والغربة والانكسار وغيرها، وحينئذٍ توطّد علاقتها برديفها المشارك لها بالحياة والمتفاعل معها وبسلوكياتها (المتلقي/ الآخر).

الكلمات المفتاحية: ((الذات الشاعرة، الأموي، الفرزدق)).

Abstract

Literary and poetic production, in particular, represents the most faithful expression of the inner workings of the self, revealing the creative persona that lies behind its creator. Through it, we gain insight into the poet's deep inner world, including his thoughts, aspirations, and the surrounding circumstances. Poetic creativity is the essence of what the self seeks according to psychological motives and internal and external influences. The poet's self struggles and merges within the crucible of his creativity, expressing itself; as a result, meanings closely tied to the poet's identity emerge, conveying emotions such as sorrow, joy, contemplation, estrangement, and defeat, among others. Consequently, the relationship of the poetic self is strengthened with its counterpart in life, interacting with it and with its behaviors (the audience/other).

Keywords: (Poetic Self, Umayyad, Al-Farazdaq).

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فيعد الفرزدق شاعرٌ متميزٌ في نتاجه الشعري، بحكم ما تميز به نتاجه من(**فخامة عباراته وجزالة لفظه وكثرة غريبه ومداخلة بعض ألفاظه في بعض... وكثرة تنوع التراكيب والأساليب والاشتمال على المعاني الدقيقة)**[١]، حتى قيل(**لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب)**[٢]ويمكن أن نعده استثنائيًا في عصره وهذا متأتٍ من قدرته الإبداعية، فقد جاء متمكنًا في صياغة نصوصه الشعرية حتى جاءت متميزة بفرادتها الأسلوبية الإبداعية وهوما يعبرعنه اليوم بالبصمة الأنوية الكاشفة عن ذاتيته، فقد شيد لنفسه هرما أدبيا وبنى أفقا خاصا به تجسد ذلك في صياغاته المتميزة عن شعراء عصره فجاء نتاجه مزدانًا بهاجس أدبي ورهافة حس مطبوع بطابع أصيل،وهذا متأتٍ من نشأته في بيت كرم ذي مآثر ومفاخر وقبيلة لها سلطان واسع وأيام مشهورة مما كان له أثر عميق في إعداده[٣] حتى عد من (**أفخر شعراء العرب لأن مواد الفخر أكتملت لديه همةُ ونسبًا)**[٤]، ولأجل التدليل على ما ذكرناه ولايكون مجرد ادعاء نقدي نعزز ذلك عبر الدخول إلى عالم تجربته الشعرية وفضائها منطلقين من عالمه العام إلى الخاص نتحرى عن هيكلية البنية الظاهرية الاستهلالية للنص من ناحية بنائها المضموني وصولًا لبنيته العميقة، وحركتنا التحليلية تمضي مزجًا بين الفاعلية الموضوعية أو المعنوية والنفسية ماضين قدما بالتحليل صوب

---

[١] الوسيط في الادب العربي وتاريخه ،أحمد الاسكندري ومصطفى عناني ،القاهرة دار المعارف ط١٨: ١٧٣

[٢]الحيوان،عمرو بن بحر بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) دار الكتب العلمية – بيروت، ٤٧٣/٧، وينظر: جواهر الادب في أدبيات وأنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم الهاشمي(ت١٣٦٢هـ) تح:لجنة من الجامعيين،مؤسسة المعارف،بيروت:١٥٠/٢.

[٣] ينظر:الادب العربي ،عناد غزوان وآخرون ،بغداد ،مطبعة أسعد،١٨٧٣،ط٣: ١٧٠

[٤] ديوان الفرزدق،شرحه وضبطه وقدمه الاستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان،ط١/١٩٨٧ :٨

البنية التشكيلية الداخلية والبنى التحتية للكشف عن ذاتيته الشعرية وأحوالها وأثرها في التشكيل الإبداعي وما تحمله من معانٍ وتعابير نستشفها وهذا هو محور عملنا.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك بحث منشور على شبكة الإنترنت بعنوان(تجليات صورة الذات الشاعرة في شعر الفرزدق) للباحث أحمد ياسين، غير أن الباحث اختار ميدنًا لبحثه مختلف عن ميدان بحثنا فمحاور البحث مختلفة وبعيدة عن محاور بحثنا، إذ تناول(الذات الفارسة، الذات الصاخبة، الذات الناقمة، الذات العدائية، الذات الغيورة، الذات القبلية)بينما جاءت محاور بحثنا (الذات المحبطة الحزينة، الذات المغتربة، الذات المتأملة، الذات المفتخرة، الذات المتألمة)، وطريقة تناول الأبيات بالبحث مختلفة أيضا عن بحثنا، فضلا عن اختلاف العينات الشعرية.

❖ **اولًا: الذات المحبطة الحزينة:** تميز الشعر العربي القديم بنشأته الغنائية التي جعلت من الحزن أبرز مميزاته معبرة عن أنوية الشاعر، فيظهر الحزن على الشاعر لبرهات زمنية متفاوته قد تطول أو تقصر وتختلف من مبدع لآخر من حيث شدتها ووطأتها، وقد وقف نقادنا على حساسية الشاعر وشدة تأثره بالظروف المحيطة به، كما هو معروف لدى الجميع أن الشاعر ابن بيئته.

فإن ما ينماز الشاعر عن غيره يتجلى واضحًا في **(التكوين النفسي للشاعر وهو تكوين متميز ـ كما يصفه علماء النفس . يقوم على الإحساس المرهف والخيال الخارق وهذا التكوين الخاص أو المتميّز يجعل الشعراء والفنانيين وسائر المبدعين في حالة قلق دائم وتوتر مستمر)**[1]، تظهر الذات المحبطة عند الفرزدق في الإنكسار الداخلي الذي يتملك ذاته المشوبة باليأس الناتج عن واقعه الخارجي، فيترجم ذلك الحزن شعرًا تمليه عليه ذاته المتشظية والمتألمة، نسمعه يقول : من الطويل:

سَما لَكَ شَوقٌ مِن نَوارٍ وَدونَها سُوَيقَةُ وَالدَهنا وَعَرضُ جِوائِها
وَكُنتُ إِذا تُذكَر نَوارُ فَإِنَّها لِمُنذَمِلاتِ النَفسِ تَهياضُ دائِها
وَأَرضٍ بِها جَيلانُ ريحٍ مَريضَةٍ يَغُضُّ البَصيرُ طَرفَهُ مِن فَضائِها[2]

---

[1] الشعر بين الرؤية والتشكيل، عبد العزيز المقالح:٢٦

[2] ديوان الفرزدق:١١.

يكشف الشاعر عن مشاعر الحزن التي اعترته وهو يجتاز المواضع المقفرة العسيرة الارتياد والتي تعبث به الرياح الشديدة حتى ليتحسر النظر فيها ولايقوى على احتواء فضائها وهنا تطرق مخيلته زوجه نوار وهذا ما يستدعي لتفتح جراحاته باعثًا فيه السقم مجددًا بعد أن توهمت بأنها أبلت منه، نتلمس أن الذات الشاعرة تتراوح بين حدثين: الأول واقعي فعلي سابق للنص، والآخر شعري فني يتجلى حال انتاجه للنص، معبرًاعن الموقف عبر ذات تتلبسها محلقة في فضاءات مغامرته الخيالية.

تتفعل الذات الشاعرة وتتشكل في الفضاء الشعري وتبرز لحظة الكتابة عبر وعي المنتج القائم على التخيل، بعيدًا عن الواقعية، إذ هي تبرز للمتلقي بصيغة جديدة للحقيقة بهيئة خيالية محضة، وشاعرنا تظهر تجليات ذاته الحزينة وهي تحلق في سماء شعره لكونه فضاء يحتويها ويستوعبها ونلمح ذلك : من الطويل

أَلَم يَكُ جَهلاً بَعدَ سَبعينَ حِجَّةً تَذَكُّرُ أُمَّ الفَضلِ وَالرَأسُ أَشيَبُ

وَقيلُكَ هَل مَعروفُها راجِعٌ لَنا وَلَيسَ لِشَيءٍ قَد تَفاوَتَ مَطلَبُ

عَلى حينَ وَلّى الدَهرُ إِلّا أَقَلَّهُ وَكادَت بَقايا آخِرِ العَيشِ تَذهَبُ

فَإِن تُؤذِنينا بِالفِراقِ فَلَستُمُ بِأَوَّلِ مَن يَنسى وَمَن يَتَجَنَّبُ

وَرُبَّ حَبيبٍ قَد تَناسَيتُ فَقدَهُ يَكادُ فُؤادي إِثرَهُ يَتَلَهَّبُ

....

قَرَعتُ ظَنابيبي عَلى الصَبرِ بَعدَهُ فَقَد جَعَلَت عَنهُ الجَنائِبُ تُصحِبُ[1]

يعرب الشاعرعن عميق حزنه لفراق محبوبته فهي ليست أول مرة تصرمه وتتولى عنه وتنسى حبه وتتجنبه، وأنه قد يتناسى الحب ولكن قلبه يكاد يتقطع ويذوب حرقة عليها، فأمنيته أن ينال وصالها وليس لما قد مرّ من عودة مجدية فقد طرقت خياله فيما كاد عمره يولي عنه إلا بقايا، فالموت يطيف به، فقد تجلت الذات الشاعرة بهيئة ذات انهزامية منكسرة حتى بدت للمتلقي مصطبغة باليأس، حقيقة أن الذات الشاعر لا تعني بالضرورة ذات واقعية فعلية لمنتج النص إنما هي(**ذات مجازية لها مجانيتها الواسعة في التعبير عن آلامها وآمالها، فالذات هي البطل الذي يتحرك داخل النص الشعري.... ومن ثم فهي**

[1] ديوان الفرزدق: ٦٧.

تتغير حسب تغير المتلقي ودرجة وعيه الثقافي والمعرفي طبقا لتغير الزمان والمكان وأحوال التلقي كافة)[١]، والتي يمكن تسميتها الذات الكاتبة التي تدخل ضمنها الذات الشاعرة، إذ إنه لا يفصل بين الذاتين إلا أن تمنح الذات الكاتبة خصيصة رؤية ما وراء أو كما أطلق عليها(العين الثالثة)[٢] .

الشاعر يصور ما تمليه عليه ذاكرته من صور تتواتر وتتدافع داخله تاركة بصمتها بكل ما تحمله من ألم ووجع، يقدم الشاعر صورة معتمدًا الحذف والإضمار والانتقال السريع في مشهد الأحداث، معتمد أسلوب الشرط فتارة يجيب منكرًا لحاله، وتارة نجده يترك الإجابة ويفسح المجال للمتلقي ليجيب عن واقعه الحزين، نسمعه يقول : من الوافر

رَأَيتُ نَوارَ قَد جَعَلَت تَجَنّى وَتُكثِرُ لي المَلامَةَ وَالعِتابا
وَأَحدَثُ عَهدِ وَدَّكَ بِالغَواني إِذا ما رَأسُ طالِبِهِنَّ شابا
فَلا أَستطيعُ رَدَّ الشَيبِ عَنّي وَلا أَرجو مَعَ الكِبَرِ الشَبابا
فَلَيتَ الشَيبَ يَومَ غَدا عَلَينا إِلى يَومِ القِيامَةِ كانَ غابا
فَكانَ أَحَبَّ مُنتَظَرٍ إِلَينا أَبغَضَ غائِبٍ يُرجى إِيابا
فَلَم أَرَ كَالشَبابِ مَتاعَ دُنيا وَلَم أَرَ مِثلَ كِسوَتِهِ ثِيابا
وَلَو أَنَّ الشَبابَ يُذابُ يَوماً بِهِ حَجَرٌ مِنَ الجَبَلَينِ ذابا[٣]

يصور الشاعر الاحباط الذي سكن عالمه الداخلي وهو يفتتح نصه بزوجه نوار التي أكثرت من اللوم والعتاب وهذا يرجعه إلى عالم خياله الأليم الذي يراوده حيث قطعنه الغوالي نتيجة تقادم العمر عليه، واقتحمه الشيب وليس له من دفعه متمنيًا النزوح عنه أبد الدهر، ويراه كالغائب الذي يخشى قدومه؛ ذلك أنه شكل عند الشاعر المنازع الذي لا يقهر، وإن هذا الاحباط من صروف الدهر يجعله يعيش حالة من الوحدة والإحباط حتى إنه يصنع ذات

---

[١] الذات الشاعرة وثقافة النص في ادب سعاد الصباح، قراءة في كتابيها(وللعصافير اظافير تكتب الشعر) و(قراءة في كف الوطن)د. سلطان الحريري، الكويت، ط١/٢٠١٨، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية: ١٧

[٢] كتاب المحو، محد بنيس، دار طوبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب،ط١/ ١٩٩٤ م: ٤٠ .

[٣] ديوان الفرزدق:٧٥-٧٦

أخرى من نفسه يحاورها، فيطلب الشاعر الشباب؛ لأنه يتلمس فيه طول الأمل وابتعاد شبح الموت، ولا يلقاه لأن الشيب القى بظلاله وخيم عليه، فالشباب من يلبسه ثوب الحسن والبهاء بل إنه أفضل العهود ، فنتلمس براعة الشاعر في تشكيل تصويره لواقعه، فهو كما يقال(**يزيح الستارعن حال نفسه، إنه لايصور واقعا مرئيًا إنما يتخذ الشكل المرئي ليكون ممرًا إلى واقع نفسي غير مرئي رمزًا يوحي به وينم عنه ويحيل إليه**)[١]

وفي موضغ آخر تتولد الذات الشاعرة المحبطة كاشفه عن الشعوربالحزن والإنكسار نتيجة وقفة الشاعر عند الأطلال، فينكشف عن شمولية الإندثار في الفضاء المكاني، فضلًا عن كونها رمزًا تعبيريًا عن تجربة الفقد التي تولدت في نفس الشاعر؛ ذلك لارتباطها بعالم الفتوة والشباب، فتعمد الذات للمجابهة عبر الإبداع الشعري ليصور حالة الطمس والعفاء المكاني التي طالت الديار،يقول: من الطويل

أَلِمّا عَلى أَطلالِ سُعدى نُسَلِّمِ دَوارِسَ لَمّا اِستُنطِقَت لَم تَكَلَّمِ
وُقوفاً بِها صَحبي عَلَيَّ وَإِنَّما عَرَفتُ رُسومَ الدارِ بَعدَ التَوَهُّمِ
يَقولونَ لا تَهلِك أَسىً وَلَقَد بَدَت لَهُم عَبَراتُ المُستَهامِ المُتَيَّمِ
فَقُلتُ لَهُم لا تَعذُلوني فَإِنَّها مَنازِلُ كانَت مِن نَوارَ بِمَعلَمِ
أَتاني مِنَ الأَنباءِ بَعدَ الَّذي مَضى لِشَيبانَ مِن عادِيِّ مَجدٍ مُقَدَّمِ[٢]

يولد الطلل نسقًا مضادًا يكشف عن موقف الإنسان ورؤيته للنسقية الطللية وهو يعاني الحاضر المؤلم الرافض له، يبدأ الشاعر بوصف حالته المعبرة عن تقبله الحزين للحقيقة وهو أشبه بحزن عاشق مشتاق، وهوعلى أنقاض سعدى، فأطلاله الدارسة صامتة إن خوطبت لا تجيب، يقرنها بإنسان لايبوح بما في قبله، ويدل الحضورالأنثوي للمرأة كاشفًا عن حساسية الذات الشاعرة على مستوى النص الإبداعي؛ ذلك(**إن وجود المرأة في القصيدة هو(الحلم) بوجودها حقيقة وبالتواصل معها**)[٣] إذ يجد الشاعر العزاء في صحبة أصدقائه يشاطرون حزنه وألمه، ليعمد إلى تبريرألمه بجمال الذكريات المرتبط بالأماكن المليئة بالحياة، فلو يلمح لفترة زمنية سابقة كانت من العز والازدهار قائمةً في حياته، فهو يعيش معاناة

---

[١] علم النفس والادب،د. سامي الدروبي:٣٨

[٢] ديوان الفرزدق:٥٢٤ـ٥٢٥

[٣] المعذب في الشعر الحديث ،ماجد قاروط ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق،٢٠٠٠: ٩٩

الحاضر الرافض له والماضي المندثرالمتجسد بالأطلال، بناءً على ذلك نستشعر**(إن الزمن يوجه قوته إلى الأطلال ويوجهها في الوقت نفسه إلى الشاعر وبذلك يصبح الشاعر جديرًا بأن يرى نفسه طللًا أصابه الزمن)**[١]مستعملًا أسلوب التضاد بين الماضي والحاضر، وبين التوقع والواقع، ومن هنا تتولد فلسفة الحضور/ الغياب المنبثقة من حاجة الإنسان إلى التمسك بالماضي لكن شخوص الحاضر الفعلي**(يولد في النفس عادة الرؤية، لذا تمر عادة الغياب بطيئة في الواقع ولا يكسر رتابتها إلا حاجز من الخصوصية يشعر قيمتها وأهميتها ومن هنا يصبح الحضور تحطيما لعادة الغياب)**[٢].

وتتكشف الذات المحبطة لدى الفرزدق عبر تجسيد لحالة حزنه العميق وما ذرفت عينه من الدموع، وكأنه يقول إنّ عينيه قد اعتادت على البكاء حتى أصبح الحزن والبكاء حالة طبيعية وروتين يومي فحالة من الحزن العميق والكآبة قد استولت عليه، نستشعر بأن البكاء الذي وظفه الشاعر في نصه لم يكن لأجل البكاء ذاته إنما ليواسي بها نفسه العليلة الملتاعة، إذ تبلغ درجة من التأزم فتتأرجح بين التمسك والتجلد وتارة أخرى تتمسك بالبكاء وذلك من أجل تخفيف معاناته النفسية[٣] فلياليه طويلة وكأنها لاتريد أن تنتهي ولا تجلب له سوى المزيد من الألم والحسرة ؛ ذلك بسبب الحادث المؤلم التي ألم به والذي لا ينساه فهي كأنها سهام من ليل المنية، نسمعه يقول : من الطويل

بَكَت عَينُ مَحزونٍ فَطالَ اِنسِجامُها وَطالَت لَيالي حادِثٍ لا يَنامُها
حَوادِثُ مِن ريب المَنونِ أَصَبنَني فَصارَ عَلى الأَخيارِ مِنّا سِهامُها
كَأَنَّ المَنايا يَطَّلِبنَ نُفوسَنا بِذَحلٍ إِذا ما حُمَّ يَوماً حِمامُها
فَإِن نَبكِ لا نَبكِ المُصيباتِ إِذ أَتى بِها الدَهرُ وَالأَيّامُ جَمٌّ خِصامُها[٤]

---

[١] الزمن في الشعر الجاهلي،عبد العزيز محمد شحاته،مؤسسة حمادة ،اربد،١٩٩٥: ١١٤

[٢] جماليات المعنى الشعري(التشكيل والتأويل)عبد القادر رباعي/ المؤسسة العربية،بيروت،ط١/١٩٩٩: ٢٦

[٣] ينظر:مقدمة القصيدة الجاهلية، محمد صادق حسن عبد الله، مكتبة الفجر الجديد،١٩٩٤: ١٩٢

[٤] ديوان الفرزدق: ٥٦٠

يوسع الشاعر دائرة الحزن والإحباط ليشمل الأخيار من قومه، وكأن الموت قد استهدفهم بسهامه، يشبه الشاعر الموت بالصياد الباحث عن فريسته الذي يحمل سهامه مستعدًا للصيد، يزيد الشاعر من قوة الصورة الشعرية، عبر توظيفه الاستعارة "سهام من ليل المنية" ،"كالصياد الذي يحمل سهامه"، الشاعر في نصه زاد من عمق المعنى باستعماله التضاد بين الحياة والموت، والسعادة والحزن، فالشاعر يربط بين الحوادث المؤلمة والموت، إحساسًا منه بأن الموت يلاحقه هو وأحبائه، وخوفه من الموت طبيعة إنسانية تعكس قلقه من المجهول، يختم نصه الحزين معبرًا عن تقبله للحقيقة الحزينة المرَّة، وكأنه يقر بأن البكاء على المصائب لا يجدي نفعًا، فالأيام والزمن ما هما إلا خصمان متخاصمان.

وتبرز الذات الشاعرة الحزينة عند الفرزدق متأثرة بكل مايحيط بها، وبشكل خاص حبها وفراقها فيبدو الشاعر شخصية حساسة جدًا مرهفة الحس، فنجده يفصح عن شوق قلبه الحارق لحبيبته، وهو يعاني الأرق وقلة النوم بسبب حبه وحزنه على الفراق، فألم الفراق ولّد جرحًا عميقًا بداخله، مما سيطرعليه شعور الوحدة والضياع، وكأن ذكراها يشعل بداخله لهيب النار، ليشير إلى المسافة الشاسعة المظلمة بينهما كبعد النجوم في السماء، والفراغ الكبيرالذي خلفه فراقها، فأن طيفها ألم به مجتازًا الظلمات المطبقة بين الاودية والصحاري القفار، يصف عينيه بأنهما تعكسان آلام قلبه وحزنه الشديد، فقد سال دمعها بغزارة مستمرة كأنها سيول تحدرت من جبال، فيتسائل كيف إذن حدوث اللقاء بين شخصين منفصلين وبعيدين، يقول: من الوافر

أَقولُ لِصاحِبَيَّ مِنَ التَعَزّي وَقَد نَكَّبنَ أَكثِبَةِ العُقارِ
أَعيناني عَلى زَفَراتِ قَلبٍ يَحِنُّ بِرامَتَينِ إِلى النَوارِ
إِذا ذُكِرَت نَوارُ لَهُ اِستَهَلَّت مَدامِعُ مُسبِلِ العَبَراتِ جارِ
فَلَم أَرَ مِثلَ ما قَطَعَت إِلَينا مِنَ الظُلَمِ الحَنادِسِ وَالصَحاري
تَخوضُ فُروجَهُ حَتّى أَتَتنا عَلى بُعدِ المَناخِ مِنَ المَزارِ
وَكَيفَ وِصالُ مُنقَطِعٍ طَريدٍ يَغورُ مَعَ النُجومِ إِلى المَغارِ[1]

[1] ديوان الفرزدق: ٣٠٤-٣٠٥

فعندما يستجيب الشاعر للحزن والإحباط يعمد على ترجمته وتوثيقه بنص شعري إبداعي لذا قيل أن الشعر(**فيض الشعور وانعكاس الذات وصورة الوجدان ومرآة النفس وترجمان الشعور... كل شعر لا ينطق عن الذات ولا ينبثق من النفس هو كلام مصنوع وعبارات منظومة**)[١] فهذه الاستجابة تصدر عن موقف ذاتي يمثل الوعي لحظة الكتابة بالذات الكاتبة- طارئة متجاوزة للحظتي لما قبل ولما بعد، ناطقة على خيال انفعالي فالذات الشاعرة هنا تتحرك ضمن نطاق حدث فني شعري وقت الكتابة فهي تعبيرعن توجهها ونظراتها للحدث في نطاق ذات تتلبسها في فضاء التخيل وهي بذلك لا تعني بالضرورة الذات الشاعرة نفسها إنما هي ذات أشمل، وهي ذات النص، وهي بالتأكيد متجاوزة منشأ النص الذي يقتصر دوره على الإعلان والكشف عنها .

❖ **ثانيًا :الذات الشاعرة المغتربة:** الاغتراب الذاتي يتمثل بجنوح الفرد بالإنعزال والانفصال عن مجتمعه وعالمه دون أن يكون منفصلًا عنه بالمسافة المكانية، وهذا نتيجة خضوع الفرد لواقع اجتماعي ثقافي افتراضي يتحكم به ويستعبده؛ وذلك لشعور الفرد بفقدانه المثل والقيم الإنسانية المتعارف عليها[٢]، فالإنسان بطبيعته وبفطرته اجتماعي ويحلم ببيئة ومجتمع يتلمس فيه الاستقرار، كما أن الحياة فرضت عليها التفاعل مع الجماعة والانسجام لأجل تحقيق حاجات أساسية يمكن أعتبارها من الفطرة كالحب والانتماء والاندماج مع المجموعة - أبناء جنسه - إلا أن بعض الأفراد بسبب اختلاف الرغبات والتضاد وقيود مجتمعية يجري للعزلة والابتعاد بمعنى أن الإنسان يغلب عليه شعور الانغلاق حول ذاته وعدم التكيف والتأقلم الإجتماعي والنفسي بل وحتى المكاني وهو يقنط في أحضان مجتمعه؛ نتيجة أن عالمه قد ضاق بطموحه ولم يعد يلبي آماله فضلًا عن القيود التي فرضها عليه ولا يتمكن من التعايش معها وكل ذلك يحدث دون انتقال عبر أمكنة الاستيطان وابتعاد عن البيئة التي عايشها وتعايش معها، إذ هو تعبير عن حالة رفض وتمرد على القيود الإجتماعية؛ لذا قيل عن الشعور بالاغتراب(**بإنه شعور**

---

[١] تطور الشعر الحديث والمعاصر،د.عمر الدقاق،د.محمد نجيب التلاوي،د. مرادعبد الرحمن مبروك،دار الاوزاعي،ط١/١٩٩٦: ١١٩

[٢] ينظر: مفاهيم في الاغتراب، محمد ذينون الصائغ، مجلة شؤون إجتماعية، العدد ٨٩ / ٢٠٠٦ :٢١٦

الفرد بالعزلة والانفصال النفسي عن الذات وعن الآخرين والوحدة أو عدم الانتماء والشعور والإحساس بالقلق ورفض القيم والمعايير الإجتماعية والاغتراب عن الحياة الأسرية والإجتماعية)[١] فطبيعة العلاقة بين الفرد ومجتمعه هي التي تولد حالة من عدم الرضا النفسي وعدم تقبل حقيقة وجوده في مجتمعه وضعف الشعور بالهوية والانتماء، أي: ما يسمى (أزمة الذات)هذا مما يدفعه إلى العزلة والانسحاب والانفصال عن الآخرين، تظهر تدريجيًا عبر حالة من الاكتئاب والقلق لتصل به إلى شعور بالتشاؤم من ثم تغلب عليه الوحدة والشعور بالفراغ والحزن، ومنها يلتف وينكص الشاعر إلى ذاته الشاعرة ويغترب عمن حوله وهذه صفة الذات المتسمة بالتحسس السريع .

غير أن هذه المشاعر والأحاسيس والرؤى المسيطرة والمتغلبة على الشاعر تحديدًا، حقيقة تحسب له لا عليه ؛ وذلك لما قيل بأنه **(أقوى دليل على حيوية الذات وقوة نبضها)**[٢]، خصوصا أن وظف تلك المشاعر والأحاسيس في الجانب الأدبي ولاسيما الشعري منه، فطبيعي أن يتولد الاغتراب الذاتي ممن يحمل تطلعات وأفكار يقصر على الواقع التعاطي والانسجام، إنما التجاوب معها فيتكاثف الإحساس بالتفرد مولدًا شرخًا في طبيعة العلاقة الفاعلة بين (الأنا الممثلة بالذات الشاعرة/الآخر الممثل بالمجتمع) .

وشاعرنا الفرزدق تظهر عنده تجليات الذات الشاعرة المغتربة، ونلمحها وهي تصارع الواقع الزمكاني بالتأمّل الإنساني، بعد أن عاش ليلًا ثقيلًا طويلًا مليئًا بالظلام والحزن، يبدو قصيرًا على الشاعر بسبب طول انتظاره وحزنه، ليعكس حالة من التيه والضياع، إذ يتوق الشاعر إلى شيء لا يمكن تحقيقه، وهو إطالة الزمن في ذلك دلالة على الاضطراب إذ لا نوم ولا راحة، وقد بسط الليل بظلمته، ويصفه الشاعر بصفات بشرية فيجعله كأنه عدو يتربص به يحمل معه الشر والأذى، مما عطلت أدواته فلا قبل له بالتزحزح، فكأنه نذر ألا يبارح السماء، فكيف للشاعر بأن يتحرر من الليل الذي لا يطلع له صباح منير؟ فالليل عند الشاعر رمز إلى الحزن والكآبة، والقصير يرمز إلى قصر العمر وسرعة الزمن: من الوافر

---

[١] الذات في مواجهة العالم ،تجليات الاغتراب في الفصة القصيرة في الجزيرة العربية، أمير علي زهراني، المركز الثقافي ط١/ ٢٠١١ :٣٤

[٢] خصام ونقد،د. طه حسين، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر،٢٠١٣ :٤٤

كليلِ مهلهلٍ ليلي، إذا ما تمني الطُّول ذو الليلِ القصيرِ
يمانيةٌ، كأنَّ شامياتٍ رجحنَ بجانبَيْه عن الغُؤُورِ
كانَّ الليل يحبسهُ علينا ضرارٌ، أو يكرُّ إلي نذورِ
كأنَّ نجومهُ شؤلٌ تثني لأدهم في مباركها عقيرِ
وكيف بليلةٍ لا نوم فيها، ولا ضوءٍ لصاحبها منيرِ[1]

يبدع في تصوير نجوم تلك الليلة الطويلة، بتشبيه قوي وكأنها شعل تحرق كل شيء حولها تصدر صوتًا حزينًا، فالعالم الذي يعيشه غير ذي حركة، حالة من القلق والاضطراب وشعور بالوحدة والضياع التي يعيشها الشاعر، يوظف لفظة (شاميات) يريد النجوم التي رجحت بجانبيه، وذلك رمز للأحزان والأوجاع التي تثقل كاهل الشاعر، وهذا الليل المتخطي أفق المكان ضاق صدر الشاعر به وفي ذلك دلالة على تراكم الهموم حتى حجبت عنه جمالية ورونق الصباح بإشراقته البهية الدالة على تجدد الحياة، وشكل الليل في نظر الشاعر مرآة معطلة رافضة لطبيعة عين الشاعر، فتعكس كل الأوقات بلون عتمة الليل وبظلامه، يعكس الشاعر حالة نفسية معقدة تتراوح بين الحزن واليأس، والشعور بالوحدة والخوف من المستقبل.

وفي وقفة اغتراب للذات الشاعرة عند الفرزدق يتناول الشاعر موضوع الحب والفراق، ويصف الآلام النفسية التي يسببها الفراق وما يخلفه من يأس شديد وقنوط من الحياة، نلحظ النغمة المنكسرة التي صدحت بها ألفاظ النص الشعري فالذات الشاعرة ظهرت ساخرة قلقة عبرت عن حالة صعبة سيطرت على نفسية الشاعر، ليكشف عن حجم معاناته النفسية بعد فراق حبيبته نوار، وندمه الشديد حتى ليشبه بندامة الكُسَعِي، وهو شخصية معروفة اشتهرت بندمها، وكما يقال(**الأدب يصور حياة النفوس والقلوب والأذواق على نحو لايستطع التاريخ أن يصوره ولا أن يسجله ولا أن ينقله إلينا نقلًا صحيحًا دقيقًا**)[2] يقول: من الوافر

نَدِمتُ نَدامَةَ الكُسَعِيِّ لَمّا غَدَت مِنّي مُطَلَّقَةٌ نَوارُ
وَكانَت جَنَّتي فَخَرَجتُ مِنها كَآدَمَ حينَ لَجَّ بِها الضِرارُ

[1] ديوان الفرزدق: ١٩٥-١٩٦

[2] خصام ونقد ،د.طه حسين مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر،٢٠١٣: ٤٥

وكُنتُ كَفاقِئٍ عَينَيهِ عَمدًا فَأَصبَحَ ما يُضيءُ لَهُ النَهارُ
وَلا يوفي بِحُبِّ نَوارَ عِندي وَلا كَلَفي بِها إِلّا اِنتِحارُ
وَلَو رَضِيَت يَدايَ بِها وَقَرَّت لَكانَ لَها عَلى القَدَرِ الخِيارُ
وَما فارَقتُها شِبَعًا وَلَكِن رَأَيتُ الدَهرَ يَأخُذُ ما يُعارُ[1]

يعكس الشاعررؤية فلسفية عميقة متمثلة بعلاقة الفرد بالكون، فمثلما طُرد آدم من الجنة، طُرد الشاعر من جنته الخاصة (حبيبته)، مما يشير إلى فكرة فقدان الإنسان للكمال الأولي والعودة إلى حالة من النقص والمعاناة فمحبوبته بنظره الجنة وفراقها أنه طرد من الجنة شبيه بطرد آدم وحواء، من الجنة، محاولة منه الربط بين فكرة فراق الحبيبة بفكرة الزمن الذي يأخذ كل شيء، كاشفًا عن رؤية عميقة لطبيعة الحياة وما يطرأ عليها من تبدل وتغير يعكس الشاعر حالة نفسية من الحزن واليأس حين يصور نفسه بالإنسان الذي فقأ عينيه عمدًا، أي: إنّه تسبب في فقدان نعمة البصر بنفسه، فقد أعمى بصيرته عن كل شيء جميل في الحياة، دلالة على عمق معاناته النفسية، يعبّر عن يأس شديد وقنوط من الحياة سيطر عليه، مما جعله يرى أنّ الانتحار هو الحل الوحيد للتخلص من هذا الألم، يعزو الشاعر الفراق إلى القدر، فيدرك الشاعر أن كل شيء فاني، وأن الحياة عبارة عن استعارة مؤقتة.

نتلمس الذات الشاعر المغتربة تصدح في نص إبداعي جديد وبصيغة مختلفة عن سابقاتها، تمثل انعكاسًا صادقًا لعميق مشاعرالشاعرالداخلية، فكشفت عن صراعه الداخلي بين الخوف والأمل، والثواب والعقاب، والحياة والموت، وبذلك تكون شاهدًا على الإحساس الديني لدى الشاعر، وكيف أن التغيير والتوبة تأتي نتيجة الخوف من العقاب، فيصور الفرزدق نفسه مأسورًا ومقيدًا من قبل قائد عنيف سيقوده إلى العذاب والنار، إن خوفه خوف كوني ليس مجرد تخيل، إنما انعكاس لشعور بالذنب، وشعوره بمسؤوليته عن أفعاله ونتائجها، يقول: من الطويل

لَقَد خابَ مِن أَولادِ دارِمَ مَن مَشى إِلى النارِ مَشدودَ الخِناقَةِ أَزرَقا
إِذا جاءَني يَومَ القِيامَةِ قائِد عَنيفٌ وَسَوّاقٌ يَسوقُ الفَرَزدَقا

[1] ديوان الفرزدق:٢٥٧- ٢٥٨ .

أَخافُ وَراءَ القَبرِ إِن لَم يُعافِني أَشَدَّ مِنَ القَبرِ اِلتِهاباً وَأَضيَقا
إِذا شَرِبوا فيها الصَديدَ رَأَيتَهُم يَذوبونَ مِن حَرِّ الصَديدِ تَمَزُّقا[1]

يتكشف نص الفرزدق عن تجربة النفسية، وتعبيرا عن حلم راود الشاعر وتكرر حتى أصبح أشبه بالكابوس يعكس مخاوف الشاعر الباطنية، فيصورالشاعر الجحيم بصور مرعبة ومؤلمة، يرى نفسه يعاني من ألم شديد وضيق من ألم القبر، ومما يزيد من هول المشهد ويرى الآخرين يشربون الصديد ويذوبون من حرارته، وبذلك يجسد خوفه من العقاب الإلهي، فيشعر بالعجز أمام قوة الله وقضائه، وهذا الشعور بالعجز يزيد من حدة الخوف والقلق، ليعكس الشاعر حالة نفسية مضطربة، فيرى نفسه ضعيفًا أمام القوة الإلهية، ولا يجد ملاذًا من العقاب، وبالتأكيد تكون الضغوط النفسية والإجتماعية لها تأثيرها الفعال على نفسيته ، فيعيش حالة اغتراب عن بيئته حتى لنجده يحاول إسقاط خوفه الشخصي على الآخرين، إذ يقول **(لقد خاب من أولاد دارم من مشى إلى النار)** هذا الإسقاط قد يكون محاولة لتقليل الشعور بالذنب عن طريق توزيعه على الآخرين.

وتتجلى الذات الشاعرة المغتربة في نص الفرزدق لتعكس عمق المعاناة الإنسانية والظلم والقسوة التي يمكن أن يتعرض لها الفرد في مجتمعه، والشاعر لا يقدم مجرد وصف لحادثة، إنما لوحة معبرة عن حالة نفسية معقدة، تتخللها مشاعر مختلطة بين الألم والمعاناة والصبر والتفاؤل، فيغوص في أعماق النفس البشرية ليكشف عن أبعاد فلسفية عميقة تتعلق بالطبيعة البشرية، فيسلط الضوء على ليلة طويلة مظلمة، مليئة بالتحديات والصعوبات، ولكنه يواجهها بإيمان وشجاعة، يرمز الشاعر للغموض الذي يحيط به والمعاناة التي عاشها فيصور نفسه سجين مقيد بأكثر من خمسين قيدًا وحلقة، وكأنما العالم ضاق به، يزيد من شعوره بالوحدة والعزلة يرسم ليلته ليست مجرد ليلة عادية، فهو يقضيها ساهرًا بينما بقية الناس نيام، إلا أنه يجد في نفسه القوة والصبرعلى الاستمرار حتى يمضي هذا الليل الطويل، يمتطي التشبيه جاعلًا من نفسه أشبه بضيف غريب يأوي إلى مكان مظلم دلالة على حالة

[1] ديوان الفرزدق: ٣٩٩

الغربة والعزلة التي يعيشها، يرفع الشاعر من نسبة مبالغة تحمله الصعوبات بصلابة وإصرار نجده يقرن ما تعانيه قدماه بمعاناة الجبال الصماء:من الطويل

وَكَيفَ بِمَن خَمسونَ قَيدًا وَحَلقَةً عَلَيهِ مَعَ اللَيلِ الَّذي هُوَ أَدهَمُ

أَبيتُ أُقاسي اللَيلَ وَالقَومُ مِنهُمُ مَعي ساهِرٌ لي لا يَنامُ وَنُوَّمُ

وَلَو أَنَّها صُمُّ الجِبالِ تَحَمَّلَت كَما حَمَلَت رِجلايَ كادَت تُحَطَّمُ

أَمالِكُ إِن أَخرُج بِكَفَّيكَ صالِحًا تَكُن مِثلُ ذي نُعمى لِمَن كانَ يُنعِمُ

فَلَو أَنَّ ضَيفَ البارِقَينِ وَلَعلَعٍ مَكانِكَ مِنّي نازِلًا حينَ يَضغَمُ

كَأَنَّ شِهابَي قابِسٍ تَحتَ جَبهَةٍ لَهُ مِن صِلابِ الرَعنِ بَل هُوَ أَجهَمُ

لَكانَ فُؤادي مِنهُ أَيسَرَ خَشيَةً وَأَوثَقَ مِنّي لِلمَنِيَّةِ مُسلَمُ

إِذا كَشَرَت أَنيابُهُ عَن أَسِنَّةٍ لَهُ بَينَ لَاحيَي مُلجَمٍ لا يُثَلَّمُ

لَهُ اِبنانِ لا يَنفَكُّ يَمشي إِلَيهِما بِأَوصالِ مَعفورٍ بِهِ يَتَقَرَّمُ

....

أَقولُ لِرِجلَيَّ اللَتَينِ عَلَيهِما عُرىً وَحَديدٌ يَحبِسُ الخَطوَ أَبهَمُ[1]

يستعمل الشاعر العديد من الرموز مثل الليل، والقيد، والجبال، ليعبر عن معانيه بشكل أقرب للواقع، نجده يمتطي الشاعر التشبيهات والمبالغات لأجل تأكيد حالته وما آل إليه، فيصور حياته ويقرنه بهيئة شخص قوي ومخيف شرس، هو أشبه بشهاب ـ نيزك ساطع ـ يضرب الأرض بقوة، قد يكون ذلك الشخص رمزًا للظلم والقوة الشريرة أو لأي قوة تتسلط على الشاعر بالقلق والخوف وما ذلك التشبيه إلا ليقدم انطباعا عن قوة الشخص وما يسببه من آثار مدمرة، يعبر عن خوفه ورعبه منه حتى ليشعر بأن الموت أهون عليه من مواجهته، يرد مواصفات هذا الشخص فأسنانه كأنياب مفترسة وإن له ابنين ورثا عنه القسوة والوحشية، وهذا يشير إلى أن هذه الصفات السيئة متوارثة من الآباء إلى الأبناء، ويختم النص بوصف معاناته الشخصية، ليعكس شعوره بالظلم والقهر إذ يصور نفسه بسجين مكبل بالأغلال والقهر، وما ذلك إلا تعبيرًا عن شعور الشاعر بالظلم والقهر من المجتمع الذي أشعره بعدم الانتماء فتفعل الاغتراب في ذاته الشاعرة.

---

[1] ديوان الفرزدق:٥٦٧ـ٥٦٨

وفي وقفة جديدة نتلمس إحساسا عاليا بالذات الشاعرة المغتربة عند الفرزدق وهي تصارع الواقع محلقة في سماء الشعر لكونه فضاءً حميمًا معبرًا عن حالة نفسية معقدة، تتخللها مشاعر اليأس والإحباط، يبدأ بتصور حالته في ليلة مظلمة طويلة قاسية ـ رمز الحزن واليأس والظلام الذي يلف حياة الشاعر. مليئة بالتحديات والصعوبات، فهي أشبه برحلة ترمز إلى البحث عن المعنى والحقيقة في الحياة؛ فيعكس شدة المعاناة التي يعيشها، وكأن العالم كله قد ضاقت به حتى ليقرن نفسه بشخص يتجول في الظلام بحثًا عن نورالليل، فالليل ليس مجرد ليل عادي، بل هو رمز للظلام والغموض الذي يحيط به، فقد غطى بظلامه الدامس كل شيء، تتكشف الذات الشاعرة مغتربة تعيش في ظلام دامس، لكنها تحاول جاهدة إضفاء بعض النور، صورة تعكس حالة الاستسلام واليأس، يصور الشاعر الليل والنهار وكأنهما وجهان لعملة واحدة، لا فرق بينهما في الظلام الذي يلفهما إذ يبدو أن كل شيء ثابت وغير قابل للتغيير وكأن الظلام يبتلع كل شيء، هذه الصورة تعكس شعور عدم الإنتماء والخيبة والإحباط، أن أي أمل في ضوء جديد يختفي سريعًا، يبدو أن كل محاولة للخروج من الظلام فاشلة، وبذلك تعيش حالًا من التمرد على كل ما يحيط بها ويسعى إلى تفجيره، نسمعه يقول: من الطويل

خَبَطتُ بِها الظَلماءَ حَتّى أَضاءها عَمودُ ضِياءٍ بِالبَياضِ يَضيمُها
وَلَيلَةِ لَيلٍ مُرجَحِنٍّ ظَلامُها سَواءٌ عَلَينا طَلقُها وَغُيومُها
كَأَنَّ بِها الأَيّامَ وَاللَيلَ وَصّلا وَظَلماءَ مُسوَدٌّ عَلَيها بَهيمُها
إِذا ما رَجَونا ضَوءها اِعتَكَرَت لَها شَآمِيَّةُ الأَلوانِ ضَوءٌ بَريمُها
فَذَلِكَ مِن لَيلِ الطِوالِ إِذا اِلتَقَت عَلَينا بِهِ ظَلماؤُهُ وَعُتومُها
إِذا قُلتُ لِلحُرّاسِ هَل لَيلَتي دَنَت مِنَ الصُبحِ أَو كانَت جُنوحاً نُجومُها
يَقولونَ: ما يَنزِلنَ إِلّا تَنَزُّلاً بَطيئاً وَمُسوَدّاً عَلَينا أَديمُها
فَلَيتَ مَكانَ الأَربَعينَ الَّتي لَها بِساقَيَّ آثارٌ مِبينٌ وَشومُها[1]

[1] ديوان الفرزدق:٥٧٤

يعد الانتظار هو المحور الرئيس للتفعل الذات الشاعرة المغتربة، إذ يعبر الشاعر عن شعوره بالملل واليأس نتيجة الانتظار الطويل يصف الشاعر الوقت الذي يمر ببطء شديد، وكأنه حارس يحرس الشاعر في سجنه من الظلام، ولا يمكن الهروب من سطوته، معبرًا عن الشعور بالعجز أمام قوة الزمن وقدره، تجاوز الشاعر باغترابه عن الابتعاد والنزوح وعدم التلاؤم مع المحيط إنما أصبح العالم بسعته أشبه بسجن صغير لايمكن أن يحتويه، فيبدأ بسؤاله الحراس عن اقتراب وقت الصباح، ـ رمز إلى الأمل والفرح والخلاص من المعاناة ـ فتأتيه الإجابة لتزيد من شعوره باليأس والإنتظار، هذا السؤال يعكس رغبته الملحة في أن ينتهي هذا الليل الطويل، المظلم وصفه بأنه"عُتومها"، أي: قاسية، وقاسية عليه وحده، والذي لا يتحرك فيه الوقت إلا ببطء شديد، وكأن الشاعر يخشى أن لا يأتي هذا الصباح أبدًا، يعيش الشاعر في عزلة، وكأنه محاط بظلام دامس لا ينفذ منه نور، نتلمس بأن الشاعر يعاني حالة من التناقضات، فهو في الوقت نفسه باحث عن النور ومحاط بالظلام، متشوق للحياة ومعزول عن العالم، فالزمن في نظر الشاعر عدو لدود يمر بثقل تاركًا آثارًا عميقة على الإنسان، هنا يشير الشاعر إلى الأربعين ليلة التي قضاها في السجن ـ رمزًا لعدد من ليالٍ محددة، عاشها الشاعر في التعب والمعانات ـ تركت آثارًا عميقة في جسده ونفسه، فيكون الشاعر قد تعرض لصدمة نفسية عميقة في الماضي، وتسبب له هذه الليالي الطويلة إعادة تجربة هذه الصدمة وشعره كأنه مذكرات في لحظة يأس وألم.

❖ **ثالثًا: الذات الشاعرة المتأمّلة:** يقوم الشعر التأمّلي على التفكير في طبيعة الحياة والموت والكون والإنسان وصراعه المستمر مع الحياة وأحواله ومأساته وقلقه الوجودي، فهو شعريلتقي مع الفلسفة إلا أنه يختلف معها في أسلوبه ومنطقه، فهو قائم على التأمل الذاتي من أجل الوصول إلى جوهر الأشياء، فالتأمل يفتح بابًا من الخيال فيمتزج الفكر بالخيال محلقًا بعيدًا عن الذات الحسية متعمقًا بالذات الروحية باثًا فيها خواطره وتطلعاته.

يمكن أن يعد التأمل أحد أهم ظواهر الشعر العربي وعبرها يحلق الشاعر بعيدا في ذوات الآخرين مستكشفًا خفاياها؛ ذلك أن الشعر حالة تفاعل وتألف دائمين، والشعر التأملي **(يقوم على تجربة تأملية عاشها الشاعر بفكره ووجدانه واستطاع من خلالها أن ينفذ إلى ما وراء التجربة الشعرية ليستخرج لنا من مكنوناتها دقائق الأشياء وليصنع موقعا معمقا**

من الموضوع الذي أخلص التجربة له وكثيرا ما تعكس مواقف الشعراء في تجاربهم التأملية صفات نفسية وعقلية تتسم بها شخصياتهم)[١].

وتظهر الذات الشاعرة التأمّلية في أبيات تعكس بوضوح عمق تفكير الشاعر في تصوير قضايا الوجود من القوة والسلطان، فيلمّح عن رؤيته الفلسفية للحياة والموت والحياة بعد الموت، ويعبر عن حيرته إذ يصف الخيل بأنها تسير إلى الأعداء . دار المنايا ـ وهذا التذكير بالموت يبرز الجانب الفلسفي للشعر، حتى يدعو الإنسان إلى التفكير في معنى الحياة ومآلها الموت، فيلجأ إلى ذاته المتأملة ليصور نفسه بأنه شخصية قوية قيادية سلطوية محاطة بهالة من القدسية والقوة الإلهية، له كوكب تتعشى به الشمس، وكأنه إله يعبد،عاكسًا رؤية جاهلية للفرد القوي الذي يعتبره البعض أقرب إلى الآلهة، مما يغدق عليها انطباعا بأنها لها القوة المطلقة وتتمتع بحضور مؤثر وهذه القوة قادرة على ترويض الجياد الشرسة، لتسير إلى المعركة بكل شجاعة وثقة، وكأنها مقدر لها النصر، مما يعكس اعتقاده بأن الأحداث مرسومة سلفًا ولا يمكن تغييرها، هذا الشعور ينعكس على نفسية القائد ويجعله يشعر بالتفوق على الآخرين، يقول : من الطويل

وَأَرعَنَ جَرّارٍ إِذا ما تَطَلَّقَت كَتائِبُهُ خَرَّت لَهُ الجِنُّ سُجَّدا
لَهُ كَوكَبٌ تَعشى بِهِ الشَمسُ واضِحاً تَرى فيهِ أَبناءَ المَنِيَّةِ رُوَّدا
يَقودُ أَبو الأَشبالِ رَيعانَ خَيلِهِ بِدارِ المَنايا بادِياتٍ وَعُوَّدا
عَلى كُلِّ مِذعانِ السُرى غَيرِ مُجمِرٍ تُقادُ إِلى الأَعداءِ مَثنىً وَمَوحَدا[٢]

تتجلى الذات الشاعرة في النص، كشخصية فخرية تفاخر بقوتها وشجاعتها، قوة لا تُقهر، وهذا يكشف عن رغبة الشاعر في التأكيد على الانتصار لذاته المتأمّلة والتغلب على مخاوفها فهو قائد الرجال الشجعان ـ ابو الاشبال ـ فهو يشبه نفسه بالفحل الذي تخضع له القبائل، وبذلك يعكس طبيعة المجتمع العربي الذي كانت القوة والشجاعة هما المعيار

---

[١] التأمل في الشعر السعودي رسالة دكتوراه كلية اللغة العربية ،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، صالح المحمود:١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م : ٢٧

[٢] ديوان الفرزدق: ١٣٢-١٣٣

الأساسي للتقييم الإجتماعي فيه، فالذاكرة تمتد عبر الموروث وتمارس دورها في تعبئة الذات الشاعرة المتأملة وترفدها بالوقائع والصور؛ ذلك لأن العملية الشعرية فعل تنصيص للذاكرة واستجلاب كنوزها الفينة[١]، بينما يصور خيله قوية وشرسة، قادرة على المواجهة هذا الوصف يعكس رغبة الشاعر في التأكيد على مكانته الإجتماعية وقيادته للقبيلة، فيشعر الشاعر بقوة مطلقة، فهو يرى أن الجن تسجد له، وأن الشمس تخجل من نوره، ثم يوظف الرمزية في عموم نصه كاستعماله صورة الكوكب اللامع لوصف نفسه، مما يعكس اعتقاده بتميزه وبأنه كالشمس التي تضيء للجميع.

تتكشف الذات الشاعرة المتأمّلة في نص الفرزدق متجسدة بشعوره العميق بالفراق والحنين يظهر الشاعر حزين متألم، يتوق إلى الماضي، ويحلم بالعودة إليه ويصف الشاعر فيها حزنه لفراق نجم سهيل الذي كان يشاهده مع أصحابه، فهو ينظرون إليه على أنه أخ عزيز أو صديق حميم وما ذلك إلا رمز إلى الألفة والمحبة التي كانت تجمعه وأصحابه، إذ هو رمز للحبيب الغائب، أو الماضي الجميل الذي لا يعود، فتعكس الأبيات جانب حساس وشعوري من شخصية الشاعر، بعيدًا عن الصورة النمطية التي تتمثل بأن فلسفة الحياة والحزن على الزمن الجميل، ولأيام كانت فيها الحياة أكثر جمالاً وسعادة، وفكرة أن الأصدقاء والأحبة هم الثروة الحقيقية للإنسان، فإن الذات المتأمّلة في النص الإبداعي تدعونا للتأمّل في قيمة الصداقة والألفة، كما وأن الحنين إلى الماضي جزء لا يتجزأ من الحياة الإنسانية، وهذا يوضح حقيقة الذات الشاعرة بأنها تختص بحالة آنية فردية تتمثل، بتفاعل الخارجي/الواقعي مع الداخلي/الخيالي النفسي ، يقول :من الطويل

رَجا أَن يَرى ما أَهلُهُ يُبصِرونَهُ سُهَيلاً فَقَد واراهُ أَجبالُ أَعفَرا
فَكُنّا نَرى النَجمَ اليَمانِيَّ عِندَنا سُهَيلاً فَحالَت دونَهُ أَرضُ حِميَرا
وَكُنّا بِهِ مُستَأنِسينَ كَأَنَّهُ أَخٌ أَو خَليطٌ عَن خَليطٍ تَغَيَّرا
بَكى أَن تَغَنَّت فَوقَ ساقٍ حَمامَةٌ شَآمِيَّةٌ هاجَت لَهُ فَتَذَكَّرا
....

[١] ينظر: المغامرة الجمالية للنص الشعري، محمد صبار عبيد،عمان، عالم الكتاب الحديث،ط١/٢٠٠٨ ٢٤:

فَقيلَ أَتِهِ لَم أَتِهِ الدَهرَ ما دَعا حَمامٌ عَلى ساقٍ هَديلاً فَقَرقَرا

....

فَلَو كُنتُ ذا نَفسَينِ إِن حَلَّ مُقبِلاً بِإِحداهِما مِن دونِكَ المَوتُ أَحمَرا

حَيَيتُ بِأُخرى بَعدَها إِذ تَجَرَّمَت مَداها عَسَت نَفسي بِها أَن تُعَمَّرا

إِذاً لَتَغالَت بِالفَلاةِ رِكابُنا إِلَيكَ بِنا يَخدينَ مَشياً عَشَنزَرا[1]

تظهر الذات المتأمّلة باتكاء الشاعر على الطبيعة كوسيلة للتعبيرعن مشاعره، إذ يربط بين النجوم والأرض والحمامة، ليعبر عن حالة نفسية معقدة، يشبه الشاعر نفسه بحمامة حزينة تحن إلى مأواها، وتدور حول ساق شجرة لكونها وحيدة تبحث عن رفيق، وهذه المقاربة في التصوير تعبيرعن حالة الشوق والغربة والوحدة والعزلة والحنين التي يعيشها الشاعر فيحاول أن يجد في الطبيعة ما يعوضه عن حالة الفقدان وما الأصوات الحزينة التي تصدرها الحمامة إلا أنها تبحث عن شيء مفقود، وفي ذلك إشارة إلى أن الدهر لم يجمعه بمن يحب، ولم يهيئ له الظروف للقاء من يتوق إليه، النص يخفي بين طياته عمقًا معنويًا وجمالًا لغويًا، يكشف عن حنين شديد إلى الماضي، وحالة نفسية معقدة تتراوح بين الأمل والحسرة، فيوظف الشاعر الفعل "كنت" ليدلل على التمني والحسرة، وكأن الشاعر يتمنى لو كان له نفسان، لوهب إحداهما للموت لو افترق عن حبيبه، ولحيا بالأخرى بعد اللقاء، ولأجل توضيح حالة التناقض الحاد في حالته النفسية يوظف الشاعر التضاد بين الحياة والموت، وبين الحمرة والسواد، يصف اركاب**(تَغالَت بِالفَلاةِ)** ليستعير مكنيًا مصورًا حركة سريعة مع شوق للوصول إلى المحبوبة.

وفي موضع آخر تبرز الذات الشاعرة المتأمّلة عند الفرزدق وهو في معرض وصف جمالي دقيق لامرأة، وفي ذلك دلالة على اهتمامه بالجمال الأنثوي، ورصده لتفاصيل دقيقة إذ يتأمل في لون سلافة جفنها التي امتزجت بالكحل الأسود وبياض أسنانها وبريقه، يعمد عبر وصفه خلق صورة ذهنية واضحة للمتلقي، يستطرد الشاعر بتصويره فيرسم لنا لوحة حية لواقع يعيشه تحمل في طياتها عمقا نفسيا وفلسفيا يستحق التأمل إذ يتمنى لو كانا هو

[1] ديوان الفرزدق: ١٦٦-١٦٧

وحبيبته بعيران يعيشان في صحراء خالية، يرتديان ثياب من الرمل والديباج ـ ثياب بسيطة ـ ،عاكسًا في ذلك رغبته في العزلة والانسحاب من صخب الحياة، لا يفكران في تعقيداتها ، فالشاعر في تصويره يعكس حالة من اليأس والإحباط إذ يتمنى الهروب من الواقع المعقد والانتقال إلى حياة بسيطة، رغبة منه في حياة خالية من المشاكل، وهذان البعيران يخافان سيدهما وفي ذلك إشارة لخضوعهما لقوى خارجية لا يستطيعان مقاومتها، وخوفه من المستقبل والهروب من الواقع ونقدا اجتماعيا لاذعا للمجتمع الذي يعيش فيه، يقول :من الطويل

سُلافة جفن خالطتها تريكة على شفتيها و الذكيّ المسوّفُ
فيا ليتنا كنّا بعيرين لا نردْ على منهلٍ إلاّ نشلّ و نقذفُ
كلانا به عرّ يخاف قرافه على الناس مطليّ المساعر أخشفُ
بأرض خلاء وحدنا و ثيابنا من الرّيط و الدّيباج درع و ملحفُ
ولا زاد إلاّ فضلتان: سُلافةٌ و أبيض من ماء الغمامة قرقفُ
وأشلاء لحمٍ من حبارى يصيدها إذا نحن شئنا، صاحب متألّفُ
لنا ما تمنّينا من العيش ما دعا هديلًا حماماتٌ بنعمان هتّفُ[1]

تتفتح الذات الشاعرة المتأمّلة بوصف حياة الترف والبذخ وهو يصور جمال حبيبته بأنها بيضاء كالقطن، ويشبه لون وجهها بلون ماء المطر، يدلل على قدرته في الحصول على متع الحياة وأنواع النعم والخيرات، فإنه يصطاد الحبارى وقت ما يشاء، فحياته أشبه بحياة الملوك، فالشاعر يعاني تناقضًا واضحًا، ذلك ما يؤكد أن الذات الشاعرة(**عرضية حادثة متموضعة في الحالة أو في الزمن متحولة عن ذات الشاعرالماهوية ومتجاوزة لها في آن واحد)**[2] فهو يتأرجح في وصفه الحياة الفاخرة والشكوى من مصاعب الزمان هذا التناقض يعكس الصراع الداخلي الذي يعيشه الشاعر بين متعة الحياة ومخاوف المستقبل ورغم ما يملكه الشاعر من ثروة وجمال،في ذلك دليل على عمق تفكير الشاعر وحساسيته، وتعكس أبياته الصراع بين الرغبات الإنسانية الطبيعية وقسوة الواقع، ومخاوفه دليل على

---

[1] ديوان الفرزدق:٣٨٥ـ٣٨٦

[2] الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية،عبد السميع الحميري،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان،ط١ /١٩٩٩: ١٣

إدراكه طبيعة الحياة بكونها فانية كما أن الزمن يأخذ كل شيء، وقد تكون الذات المتأمّلة من جانب إجتماعي تعكس صورة المجتمع في ذلك الزمان وقيمه وتوجهاته واهتماماته.

❖ **رابعًا : الذات الشاعرة المفتخرة:** منذ بواكير الشعر العربي، كانت الذات الشاعرة ركيزة أساسية في العملية الإبداعية، نابعة من صميم الوعي بالذات والهوية، فالشعر لم يقتصرعلى كونه وسيلة للتعبير فحسب، بل غدا أداة قوية لتأكيد الوجود وترسيخ الذكرى، في هذا السياق، تتألق الذات الشاعرة المفاخرة بما تمارسه من تمجيد لذاتها، إذ تعد نفسها كيانًا متفردًا متفوقًا جديرًا بالتقدير والاحتفاء به، سواء كان هذا الافتخار مستلهمًا من ميراث قبلي، أو تحقيق شخصي، أو مكانة إجتماعية أو دينية.

يُعدّ الافتخار في الشعر العربي فعلًا ثقافيًا وإجتماعيًا، تتوسل به الذات الشاعرة لتأكيد مكانتها ضمن سياقات التنافس المختلفة؛ سواء داخل القبيلة، أو بين الشعراء، أو في مواجهة الخصوم، لذلك زخرت مفرداته بصور الكرم، والقوة، والسيادة، والشجاعة، لترسم للذات صورة لمصدر إشعاع وتميز متفرد، لا مجرد صدى للآخرين، وعليه، تصدح هذه الذات بصوتها، مستخدمةً ضمير المتكلم، وموظفةً أساليب بلاغية تؤكد تفردها وتعلن عن وجودها، لترسم ملامحها متخطيةً المألوف، محققةً بذلك أسمى غايات الشعر: الخلود عبر الكلمة.

تتجلى الذات الشاعرة المفاخرة كعلامة فارقة في نتاج الفرزدق، إذ تتضح ثقة الشاعر المطلقة بقوة كلماته وجلال تأثيرها العميق في المتلقي، فالذات الشاعرة هنا تتجاوز مجرد كونها ناطقًا ، لتصبح قوة مُبدعة تُرسّخ وجودها وتُحكم سيطرتها، إن توظيف الشاعر لمفردة "الدهناء" لم يكن محض صدفة؛ فهي معلم يرمز للاتساع والوعورة، مما يُوحي بأن قصائده ستجتاح كل بقاع الأرض، حتى أشد الأماكن شساعة وصعوبة على الاختراق،أما كلمة "مرجم" فتنصرف إلى القصائد المُعظَّمة، ذات الأثر البالغ، التي تُطلق بضراوة لِتُصيب هدفها بكل دقة، ولتصل إلى كل أرجاء الكون، تلك النبرة الفخرية تُرسّخ الاعتقاد الجازم بقدوم قصائده كقوة لا تُقهر، لا سبيل إلى ردّها أو إعاقتها ، نسمعه قوله: من الطويل

ستأتي على الدهنا قصائد مرجمٍ إذا ما تمطت بالفلاة ركابها
قصايدُ لا تُثنى إذا هي أصعدت لحي زلا يخبو عليها شهابها
ولو أنها رامت صفا الحزن أصبحت تصيحُ من حذ القوافي صلابها

وما رمت من حي لأثار فيهم من الناس الا ذل تحتي رقابها[1]

لقد جسّد نص الفرزدق جوهر الذات الشاعرة المفاخرة؛ إذ يرى في كلماته قوة خارقة قادرة على غزو كل مكان، وتجاوز كل عقبة، وإخضاع كل عدو، مؤكدًا بذلك خلوده وتفوقه، فالقصائد ستنتشر وتتمدد في الصحراء بقوة وثقل ووجود لا يمكن تجاهله، وحتى إن قصدت الصخور الصلبة والوعرة، أو القلوب القاسية، فإنها ستصرخ من شدة تأثير قوافيها التي تقطعها وتسحقها بقوتها، هذا التعبير يبرز قوة الكلمة الشعرية للفرزدق وقدرتها الفائقة على اختراق المستحيل، إن نتاج الفرزدق لم يكن مُوجهًا للتأثيرالعادي في المتلقي، بل يهدف بالأساس إلى إخضاعهم وإذلالهم، وفرض هيمنة الشاعر وكلماته عليهم، الأمر الذي يؤكد رغبة الشاعر الجلية في بسط سيطرته المطلقة على الآخرين عبر قوة شعره.

وعليه، فقد تجلّت الذات الشاعرة المتفاخرة في هذا النص بصفات متعددة: فهي واثقة ومتعالية لا يداخلها شك في قدراتها، وقاهرة ومسيطرة لا تكتفي بطلب الإعجاب، بل هي خالدة تؤمن ببقاء شعرها، ومتحدية لكل القيود حتى الصخور الصماء، ومبدعة للخلود لأنها ترى في الشعر سبيلها للبقاء وترك أثر دائم.

يتجلّى في موضع آخر حضورٌ طاغٍ للذات الشاعرة المفاخرة ضمن أبيات الفرزدق، تُعدّ أنموذجًا ساطعًا لفخره بشعره كأداة لا غنى عنها للسيطرة والخلود، هذا ما يُلخّص نظرة الفرزدق إلى قصائده؛ فهي لا تقتصر على كونها مجرد تعبير جمالي، بل تتخطى ذلك لتصبح قوة جوهرية تُستثمر بفاعلية في معترك الصراعات الإجتماعية، والسياسية، والشخصية، بذلك، تُرسَّخ مكانة الشاعر ومهابته في الوعي الجمعي. إنّ ما سبق يُعدّ تجسيدًا صريحًا لما بيّناه آنفًا، وهو أن شعره ليس أداة للتعبير وحسب، بل هو وسيلة راسخة لإثبات الوجود، وتأكيد الحضور، فضلاً عن كونه أداة للهيمنة المطلقة والإخضاع التام ، يقول : من الوافر

فكم من خائفٍ لي لم أضره وآخر قد قذفتُ لهُ شهابا
وغرٍّ قد نسقتُ مشهّراتٍ طوالع لا تطيقُ لها جوابا
بلغن الشمس حيث تكون شرقًا ومسقط فرنها من حيث غابا

[1] ديوان الفرزدق: ٥٤-٥٥

بكل ثنيةٍ وبكل ثغرٍ غرائبهن تنتسبُ انتسابا[1]

يتسم النص بنبرة فخرية قوية ومتعالية، تُقدم فيها الذات الشاعرة نفسها كقوة لا يُستهان بها، تتحكم في مصائر من حولها، وتتعدى قصائدها حدود الزمان والمكان، يوازن الشاعر بين قدرته على التهديد دون فعل (الخائفون الذين لم يُصبهم بضرر)، وقدرته على الإيذاء الفعلي والمُدمر بالقول (من قَذَفَ لهم الشهاب) بهذه الصورة، يُظهر الفرزدق نفسه قوة مُتحكمة في مصائر الآخرين ذلك لأنه نظم قصائد عظيمة ومشهورة، بلغت من القوة أن حتى السادة والنبلاء لا يملكون القدرة على الرد عليها أو تحديها، مما يبرز هيمنته الفكرية واللغوية.

ويُبالغ الشاعر في وصف مدى انتشار قصائده التي غطت الأرض كلها من مشرقها إلى مغربها، كأنها الشمس نفسها في اتساعها، هذا تجسيدٌ لخلود الشعر وعالميته في عقل الشاعر، فهو يؤكد أن قصائده، بما فيها من غرابة وعجب، قد وصلت إلى كل مكان، سواء كان سهلًا أم وعرًا، آمنًا أم خطيرًا، وصارت جزءًا من هوية تلك الأماكن تُعرف بها وتُنسب إليها.

ينتقل الشاعر، في سياقٍ آخر، من مجرد استعراض قوة شعره إلى إعلان التهديد الصريح للخصم، مُبرزًا تفوقه المطلق الذي لا يُدانيه أحد، تتجلّى في هذا النص نبرة الاستعلاء الصارخ، والتحدي السافر، والتهديد الفاضح، لترسم للذات الشاعرة كقوةٍ جارفةٍ لا تُقاوم ولا تقهر، وتُشكل ذروةً غير مسبوقة في الفخر والإعلاء، فلا يقتصر الشاعر على الإفصاح عن عظمة بيته، بل يربطها ربطًا محكمًا بقدرته الكاسحة على سحق أي خصم، مُرسخًا بذلك هيمنة لا تقبل التشكيك، نسمع قوله : من الوافر

تروم لتركب الصعداء منه ولو لقمان ساورها لهابا
اتت من فوقه الغمرات منه بموجٍ كاد يجتفل السحابا
تقاصرت الجبال له وطمت به حومات آخر قد أنابا
بأية زنمتيك تنال قومي إذا بحري رأيت له عبابا[2]

[1] ديوان الفرزدق:٩٦-٩٧

[2] ٩٣-٩٤ دوان الفرزدق:

يطمح الشاعر إلى عظمةٍ متفردة، حتى إن حاول حكيمٌ كلقمان مجاراتها أو ردعها، فإن قصائده لتحرقه أو تغلبه بسطوتها، في هذا تتجلى قوة الشعر المطلقة، التي تسمو حتى على الحكمة والمعرفة، فقصائده أشبه بفيضانٍ عارمٍ من الشدائد والأحداث، تنهال معانيها على الخصم، هذا الفيضان من القوة بحيث تكاد أمواجه تزعزع السحاب، وإن سطوة شعر الشاعر لتطغى، فتُضائل الجبال الشاهقة أمام عظمتها، هذا الشعر يعلو ويُهيمن، وفي غمار هذا الطغيان، يُخضع خصومًا آخرين استسلموا لقوته أو عادوا إليه منكسرين.

يتجلّى في النص أن الشاعر يجسّد قمة التحدي ورفض الإذعان، مؤكدًا أن أي مساسٍ به أو بقومه سيُواجه بطوفان بحره الشعري الجارف، وتأتي هذه الأبيات لتُرسّخ الصورة التي نحتها الفرزدق لنفسه بوصفه "شاعر الذات المفاخرة" و"شاعر البحر"؛ وتُعزز فكرة أن شعره ليس مجرد وسيلة للتعبيرٍ عن الذات، بل هي قوة وجودية وسيادية تُمارس فعل السيطرة والإخضاع في النسيج الإجتماعي والقبلي.

❖ **خامسًا: الذات الشاعرة المتألمة:** من أعماق الكلمات، إذ تتكسر اللغة على صخور الوجع، تولد الذات الشعرية المتألمة وهي ليست مجرد تعبير عابر عن حزنٍ لحظي، أو لحنٍ يتغنى بالأسى، بل هي تجلي عميق لروحٍ تتصارع مع آلام الوجود، إنها كيان نابض يلتقط أنفاسه من صدوع القلب، ويترجم نزيف الروح إلى صورٍ شعرية، تجد هذه الذات في القصيدة ملاذًا لتحويل التجربة القاسية إلى فن خالد ،إنها ليست ضعفًا، بل مقاومة ناعمة، وصرخة مكتومة تبحث عن خلاصها في اللغة، وتسعى لترتيب الفوضى الداخلية ضمن نظامٍ شعري يعكس اضطرابها، إنها ذاتٌ تختبر الألم بكل أبعاده: من الفقد والخيبة، إلى الوحدة والغربة، ومن ضنك العيش إلى قسوة الواقع اللاذعة.

تتخذ هذه الذات من الشعر منبرًا لبوحٍ لا يجد طريقه في الحياة اليومية، تتجلى تلك الذات الحائرة، التي لا تكتب الشعر بقدر ما يُكتب الشعر بها، ويصير لسانها حين تعجز الكلمات اليومية عن البوح، فتتحول الحروف إلى دموعٍ، والكلمات إلى صرخاتٍ مكتومة.

وغالباً ما تنماز القصائد التي تنبع من هذه الذات بالصدق المتناهي، والعمق العاطفي، والجرأة في مواجهة المكابح النفسية والإجتماعية، إن الذات الشعرية المتألمة هي مرآة للروح الإنسانية، تعكس صراعاتها، آمالها المكسورة، وقدرتها الفذة على تحويل الرماد إلى شرارة إبداع تضيء دروب الحياة.

تتجلى بوضوح صورة الذات الشاعرة المتألمة عند الفرزدق وهو يبدع برسم هيئة شاعر عاشق يعتصرُه ألمُ الفراق ولفحُ الشوق، لا يكتفي الفرزدق بالوصف السطحي للعواطف، بل يُسخّرُ أعمق المشاعر الإنسانية مُتجليًا في إبداعه لوصف جمال محبوبته بطريقة تجمع بين الحسية الدقيقة والرمزية الموحية يظهر تفننه جليًا في نسجه لوحةً جماليةً آسرةً مُستعملا التشبيهات المُستلهمة من الطبيعة ليُبدع صورًا شعريةً باهرةً تخلبُ الألباب، ثم يختم نصه الذي زُخرفَ وغُشّي بمشاعر الألم العميق والحسرة اللاذعة بتأكيد استحالة الوصال، يُلقي بظلاله، مُضيفًا بُعدًا من الحزن المُستفيض واليأس النص عكس بصدقٍ تجربةَ الشاعر الوجدانية والألم المبرح، فضلًا عن الحواجز الشاهقة التي تقف حائلًا أمام اكتمال الوصال : من الطويل

لقد هاج من عيني ماءٌ على الهوى خيالٌ أتاني آخر الليل زائره
لمية حيا بالسلام كأنما عليه دمٌ لا يقبل المال ثائره
كأن خزامي حركت ريحها الصبا وحنوة روضٍ حين أقلع ماطره
لنا إذ اتتنا الريحُ من نحو أرضها وداري مسكٍ غار في البحر تاجره
دعتني إليها الشمس تحت خمارها وجعد تثنى في الكثيب غدائره
كأن نوارًا ترتعي رمل عالجٍ إلى ربربٍ تحنو إليه جاذره
من أين ألاقي آل مي وقد أتى نبيٌّ فليج دونها وأغادره[1]

يستهل الشاعر النص بوصف حالته النفسية المتأزمة المتألمة، رابطًا بين فيضان الدموع والشوق المسيطر الذي يأسره، يستحضر الشاعر لفظة الماء ككناية بديعية عن الدموع الغزيرة التي انفجرت من عينيه، مؤكدًا أنها ليست دمعًا عاديًا، بل هو نتاج "الهوى" الجارف وما يجلبه من لوعة وألم عميقين، إن زيارة طيف المحبوبة (مَيّة)، تُعَدُّ دليلًا دامغًا على حضورها الدائم في وجدانه حتى في غيابها الجسدي خاصةً في آخر الليل تحمل دلالة عميقة؛ فهذا الوقت هو سكون وذروة الوحدة، إذ تتجلى الذكريات وتُرهف المشاعر، فيأتي الطيف لا ليخفف الألم بل ليزيده جمرةً متقدةً في قلب الشاعر، يصف الفرزدق المحبوبة

[1] ديوان الفرودق:٢٧٩-٢٨٠

بأسلوب يرفع من شأنها إلى ما هو أبعد من مجرد الجمال المادي؛ فجمالها غالي الثمن، ولا يمكن لأي فديةٍ مادية أن تعوّض عنه أو عن الأثر العميق الذي يتركه في روح الشاعر، مما يُضفي على جمالها بعدًا قدسيًا وثمينًا لا يُقدر بثمن، ويُبدع الشاعر في وصف رائحة المحبوبة، مُستحضرًا صورًا من الطبيعة البكر ليُعمّق الإحساس بجمالها وعذوبتها، فجمال رائحتها النقية والمنعشة يجعلها كأنها جزءٌ لا يتجزأ من جمال الطبيعة الخالدة، اما في قوله **(دعتني إليها الشمس تحت خمارها)**، فنتلمس تشبيهًا من أروع ما قيل في وصف الجمال إنه لا يصفها بالشمس فحسب، بل هي الشمس المتجلية تحت خمارها، مما يزيدها إشراقًا وغرابةً وجاذبية.

يصل الشاعر في النهاية إلى نقطة الألم والحسرة القصوى، مُعلنًا استحالة الوصال، يشير ذلك إلى حاجزٍ أو عائقٍ كبيرٍ مستحيل التجاوز، سواء كان شخصًا قويًا، أو قبيلة، أو حتى حاجزًا قدريًا أو اجتماعيًا لا يمكن للشاعر أن يتعداه. وكلمة "نبيّ" هنا قد توحي بشيءٍ له قدسيته أو إلزاميته، مما يجعل هذا الحاجز غير قابلٍ للتغيير أو التجاوز، وعبارة "أغادره" تعني "أتركه" أو أنصرف عنه، مما يوضح أن الشاعر مُجبرٌ على التخلي عن محاولاته للوصال بسبب هذا الحاجز الذي لا يمكن قهره، ليغرق في مرارة اليأس والقبول بالقدر المحتوم، في المجمل الشاعر لا يكتفي بالوصف المباشر، بل ينسج لوحةً حسيةً رمزيةً مُتقنةً، تفيض بالجمال الخفي الذي لا يُدرك إلا بقلب الشاعر العاشق المتيّم، إنها قصيدةٌ تعكس بصدقٍ ناصعٍ تجربة الحب العذري بكل ما فيها من شوقٍ جارح، وجمالٍ آسر، وألمٍ مستحيل الوصال.

في موضع آخر تتكشف ذات الفرزدق المتألمة متجسدة في رثاءُ البصر ومرارة الفراق، يُقدم الفرزدق لوحةً شعريةً مؤثرةً، تُجسّد لوعة الفراق وألم الشوق من منظور فريد،الخوف على البصر من كثرة الدموع، ثم اليأس من رؤية المحبوبة، يتجلى النص في صور حسية عميقة تُبرز مدى معاناة الشاعر وألمه الداخلي، يوظف الشاعر الاستعارة والكناية ببراعة في قوله "يعمى بصيرها"، و"للشوق ساعات تهيج ذكورها"، و"ليل بطن الراحتين" لتُعمّق المعنى وتُضفي عليه بعدًا مأساويًا، أما بنية النص فتُصعّد من حجم الألم تدريجيًا، من الخوف الأولي على البصر، إلى لحظة الفراق المحسومة، ثم الجهد المضني في المتابعة، وصولًا

إلى النتيجة النهائية: عين مريضة وظلام مطبق، هذا التدرج يُشعر القارئ بمسار الألم الذي عاشه الشاعر بكل تفاصيله، نسمعه يقول :من الطويل

فقد خفتُ من تذراف عيني إثرها على بصري والعين يعمى بصيرها
تفجر ماءُ العين كلَّ عشيةٍ وللشوق ساعاتٌ تهيجُ ذكورها
وما خفتُ وشك البين حتى رأيتها يساقُ على ذات الجلاميد عيرها
وما زلتُ أُزجي الطرف من حيث يممت من الارض حتى ردَّ عيني حسيرها
فرد عليّ العين وهي مريضةً هذا ليل بطن الراحتين وقورها[1]

يستهل الشاعر النص بالحديث عن الأثر المدمر للبكاء الشديد على بصره، وهو مدخل مبتكر يُظهر عمق الألم الذي يعانيه، فقد كشف الفرزدق عن خوفه الحقيقي من فقدان نعمة البصر؛ ذلك بسبب غزارة الدموع التي يسكبها عقب فراق محبوبته، ويقصد بقوله "والعين يعمى بصيرها" كناية بليغة عن أن البصيرة قد تفقد قدرتها على الإدراك أو أن البصر ذاته قد يضعف بشكل ملموس، وهذا يرفع من مستوى الدموع من مجرد تعبير عن الحزن إلى تهديد وجودي يحدق بالشاعر.

بيّن الشاعر أن تدفق الدموع هو عادة يومية، فـ "ماء العين يتفجر كل عشية" وهو وقت السكون والخلوة الذي تشتد فيه لوعة الشوق، كما يوظف عبارة "وللشوق ساعاتٌ تهيجُ ذكورها" تعبير قوي يعني أن الشوق له أوقات معينة يبلغ فيها ذروته، وكأن الشوق كوحش له ذكور تُثار لتزيد من نيران الحزن، يوضح الفرزدق أنه لم يدرك قرب الفراق أو يستشعر خطره إلا عندما رأى محبوبته تُغادر، إنها لحظة فاصلة التي تحول فيها الخوف الغامض الذي يساوره إلى حقيقة مؤلمة لا مفر منها.

ظل الشاعر يُلاحق ببصره قافلة المحبوبة إلى أقصى مدى ذهبت إليه، حتى بلغ بصره حد التعب الشديد والإعياء، من كثرة المتابعة، وكأنها فقدت قدرتها على الإبصار بوضوح، عادت عين الشاعر إليه وهي "مريضة"، كناية عن شدة الإرهاق وضعف البصر الذي كان

[1] ديوان الفرزدق: ٣١٤

يخشاه في بداية النص، هذه الصورة تؤكد تحقق مخاوفه الأليمة، أما توظف الشاعر(هذا ليل بطن الراحتين وقورها) فتحمل أكثر من تأويل، لكن المعنى الأرجح هو أنه لم يعد يرى إلا سوادًا مطبقًا، كأنه يضع يديه على عينيه ، فيرى سواد باطن الراحتين. ويريد بـ"وقورها" ثقلها أو ظلمتها، وكأن الليل بأسره استقر في عينيه المريضتين، وهذا يرمز إلى اليأس التام، والظلام الروحي، وربما فقدان البصر فعليًا أو مجازيًا، إنها صورة لليأس من رؤية المحبوبة مجددًا، أو لظلمة الحياة بعد فراقها.

نتائج البحث:

بعد هذه الرحلة الجميلة في ربوع الذات الشاعرة عند شعارنا الكبير الفرزدق، آن لي أن أرسو على الشاطئ بصحبة ما قطفته من رياضه الإبداعية، وهي على النحو الآتي:

. يمكن أن نعتبر الذات الشاعرة في شعر الشاعر ضرب من المغامرة المحببة، تكشف عن طبيعة المبدع وانفعالاته، وذلك بعد الغور في كينونته والوقوف طويلا عند منبع البوح الشعري، ثم نضع أيدينا على مناطق التحسس لديه مما يمكننا من الولوج في عالم النص مستكشفين مضمراته.

ـ الذات الشاعرة هي هوية الشاعر وحقيقة شخصيته ومركز أحاسيسه، والمسؤولة عن ترتيب الأفكار وبلورتها وإعادة صياغتها، لتتحكم في اختيارات المبدع وانتقاءات صياغاته إذ هي السلطة العليا في نصوص المبدعين، ومن هذا نرصد نقطة التفاوت بينهم، فلكل فرد مقوماته وتشكيل وجوده الواقعي وأسلوبه المميز عن غيره، ومرجع هذا التفاوت الذات الشاعرة المختلفة بحسب العوامل المؤثرة عليها.

ـ للشاعر قدرة فذة في إثبات ذاته الشاعرة في نصوصه؛ ذلك عبر تجسيد تجاربه النفسية المختلفة التي تلبست برداء الحزن والإحباط والاغتراب والتأمّل والتفاخر والتألم...، فألقت بظلالها على مكونات الخطاب الشعري بهيئة شظايا متفرقة ومشاهدات متناثرة، آلفت بينها نفس المبدع في عملية(ولادة النص) ظهرت وتبلورت بالنهاية بهيئة الفعل الكلامي.

ـ شكل الليل رمز الوحشة ومورد الهم والمعاناة فحركة الكون تهدأ وتتلحف الدنيا برداءها استعدادًا للنوم ، بينما شاعرنا يتهيأ ليندام ذكيات الماضي حيث الأحلام والآمال الضائعة.

ـ كشفت الدراسة أن الذات الشاعرة لا تقتصر على كيان الشاعر الحقيقي بصفته منشئًا للنص؛ بل هي ماهية متشكّلة تتحول لتغدو جوهر النص ذاته وتجلّيه الشعري، تتجاوز هذه

الذات صانعها لتتغلغل في تجارب الآخرين ووعيهم الجمعي، يعزى ذلك إلى قوة الشعر المتفوقة على اقتحام عالم الشاعر نفسه؛ فالشعر يزخر بالرؤى، ومتى ما تماهى مع الشاعر، انبثقت منه مغامرة إبداعية تتخطى حدود الزمان والمكان

ـ يُمكن تصنيف الفرزدق شاعرًا للذات بامتياز؛ فقد ارتكز معظم إبداعه حول التعبير عن قناعاته الفردية وأعماق أفكاره، وقد غدت ذاتية الحزن والإحباط مهيمنة عليه تمامًا، كاشفةً عن مُعاناته الروحية العميقة ومأساة الوجود التي رسّخت الحزن قسرًا في كيانه، رغم وعيه الشديد بأن ذاته ترفض الاستسلام لليأس.

وكشفت الدراسة تجلّي الذات المغتربة لديه، محملةً بنفور شديد من زمان ومكان تجرّدا من سماتهما المعهودة، ما دفع الشاعر إلى السعي حثيثًا نحو إيجاد المعنى الموازي لذاته وسط هذا العالم المضطرب.

كما وتجسّدت الذات المتامّلة مثقلة، وغارقة في الأسى، والتأمل في الحياة والموت، ولم يستطع الفرزدق أبدًا التخلص منها أو تجاوزها في أي من إبداعاته الشعرية. لهذا، جعل منها مركبًا يُفصح عبره عن دواخله المنهزمة، إذ لم يجد ملاذًا لتفريغ شحناته المتأججة وآلامه من قسوة الواقع الأليم سوى في فعل الكتابة.

ـ رسّخ الفرزدق لنفسه صورة "شاعر الذات المفاخرة"، ممّا يؤكد أن قصائده تجاوزت مجرد التعبير عن الذات، لتغدو تجسيدًا صريحًا للنظرة إلى الشعر بوصفه "سلاحًا" فاعلاً في حلبة الصراع مع الخصوم، وتؤكد أن الغاية الأسمى من هذا التوظيف كانت الهيمنة والإخضاع بسطوة الكلمة.

– وجاءت الذات المتألمة متجسدة في الشوق العميق الذي يؤدي إلى بكاء غزير وخوف على البصر، وشعوره بمرارة الفراق وعجزه عن تجاوز العوائق التي تمنعه من الوصول إلى مبتغاه ثم تتفاقم مع رؤية الفراق، وينتهي المطاف بعينين مريضتين وليل طويل من المعاناة ، ويأس من تحقيق الوصال.

المصادر والمراجع:

١. ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه علي فاعور ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان،ط١.

٢. ـ الأدب العربي ،عناد غزوان وآخرون ،بغداد ،مطبعة أسعد،١٨٧٣،ط٣.

- التأمل في الشعر السعودي، أطروحة دكتوراه،جامعة محمد بن سعود، صالح المحمود، ٢٠٠٥م.

٣. ـ الحيوان، عمرو بن بحر بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ) دار الكتب العلمية – بيروت.

- الذات الشاعرة في شعر الحداثة العربية، عبد السميع الحميري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان،ط١ /١٩٩٩م.

٤. ـ الذات الشاعرة وثقافة النص في ادب سعاد الصباح، قراءة في كتابيها(وللعصافير اظافير تكتب الشعر) و(قراءة في كف الوطن)، سلطان الحريري، الكويت، ط٢٠١٨/١، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

٥. ـ الذات في مواجهة العالم ،تجليات الاغتراب في الفصة القصيرة في الجزيرة العربية، أمير علي زهراني، المركز الثقافي العربي، ط١/ ٢٠١١ م.

- الزمن في الشعر الجاهلي، عبد العزيز محمد شحاته، مؤسسة حمادة ، إربد،١٩٩٥م.

٦. ـ الشعر بين الرؤية والتشكيل، عبد العزيز المقالح، دار العودة ط١/ ١٩٩٠.

٧. ـ المعذب في الشعر الحديث ،ماجد قاروط ،منشورات اتحاد الكتاب العرب ،دمشق،٢٠٠٠.

- المغامرة الجمالية للنص الشعري، محمد صبار عبيد،عمان،جدارا للكتاب العالمي ، ط٢٠٠٨/١

٨. ـ الوسيط في الادب العربي وتاريخه ،أحمد الاسكندري ومصطفى عناني ،القاهرة، دار المعارف ط١٨، ١٩٧١م.

- تطور الشعر الحديث والمعاصر، د.عمر الدقاق، د.محمد نجيب التلاوي، د. مراد عبد الرحمن مبروك، دار الأوزاعي، ط١٩٩٦/١.

٩. ـ جماليات المعنى الشعري(التشكيل والتأويل)عبد الفادر رباعي، المؤسسة العربية، بيروت،ط١٩٩٩/١.

١٠. ـ جواهر الادب في أدبيات وأنشاء لغة العرب، أحمد بن إبراهيم الهاشمي(ت١٣٦٢هـ) تح:لجنة من الجامعيين، مؤسسة المعارف ،بيروت.
- خصام ونقد، د. طه حسين، مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر،٢٠١٣م.
١١. ـ علم النفس والادب،د. سامي الدروبي، دار المعارف ، مصر ، القاهرة.
- كتاب المحو، محد بنيس، دار طوبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب،ط١/ ١٩٩٤ م.
١٢. ـ مقدمة القصيدة الجاهلية، محمد صادق حسن عبد الله،مكتبة الفجر الجديد،١٩٩٤.

الرسائل والأطاريح:

المجلات:

١. الذات في مواجهة العالم ، مفاهيم في الاغتراب، محمد ذينون الصائغ، مجلة شؤون اجتماعية، العدد ٨٩ / ٢٠٠٦م.

Sources and References

1. Arabic Literature, Anad Ghazwan et al., Baghdad, Asaad Press, 1873, 3rd edition.
2. The Development of Modern and Contemporary Poetry, Dr. Omar al-Daqqaq, Dr. Muhammad Najib al-Talawi, Dr. Murad Abdul Rahman Mabrouk, Dar al-Awza'i, 1st edition, 1996.
3. The Aesthetics of Poetic Meaning (Formation and Interpretation), Abdul Qader Ruba'i, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st edition, 1999.
4. Jewels of Literature in the Literature and Composition of the Arabic Language, by Ahmad ibn Ibrahim al-Hashimi (d. 1362 AH), edited by a committee of university professors, Al-Maaref Foundation, Beirut.
5. The Book of Animals, by Amr ibn Bahr al-Jahiz (d. 255 AH), Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.
6. Dispute and Criticism, by Dr. Taha Hussein, Hindawi Foundation for Printing and Publishing, 2013.

7. The Diwan of al-Farazdaq, explained, edited, and introduced by Professor Ali Faour, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1st edition.
8. The Poetic Self in Modern Arabic Poetry, Abd al-Sami' al-Himyari, University Foundation for Studies, Publishing and Distribution, Lebanon, 1st edition, 1999.
9. The Self in Confrontation with the World: Manifestations of Alienation in the Short Story in the Arabian Peninsula, Amir Ali Zahrani, Arab Cultural Center, 1st edition, 2011.
10. The Poetic Self and the Culture of the Text in the Literature of Suad Al-Sabah: A Reading of Her Two Books (And the Birds Have Claws That Write Poetry) and (A Reading in the Palm of the Homeland), by Dr. Sultan Al-Hariri, Kuwait, 1st Edition/2018, Abdul Aziz Saud Al-Babtain Cultural Foundation.
11. Time in Pre-Islamic Poetry, by Abdul Aziz Muhammad Shahata, Hamada Foundation for University Services and Studies, Irbid, 1995.
12. Poetry Between Vision and Formation, Abdul Aziz Al-Maqaleh, Dar Al-Awda, 1st edition, 1990.
13. Psychology and Literature, Dr. Sami Al-Durubi, Dar Al-Maaref, Cairo, Egypt.
14. The Book of Erasure, Muhammad Bennis, Dar Toubkal Publishing, Casablanca, Morocco, 1st edition, 1994.
15. The Tormented in Modern Poetry, Majid Qarout, Arab Writers Union Publications, Damascus, 2000.
16. The Aesthetic Adventure of the Poetic Text, Muhammad Sabbar Ubaid, Amman, Modern Book World, Jadara for International Books Publishing and Distribution, 1st edition, 2008.
17. Introduction to the Pre-Islamic Poem, Muhammad Sadiq Hassan Abdullah, Al-Fajr Al-Jadeed Library, 1994.
18. The Mediator in Arabic Literature and its History, Ahmed Al-Iskandari and Mustafa Anani, Cairo, Dar Al-Maaref, 18th edition, 1971 AD.

Theses and Dissertations:

1. Reflections on Saudi Poetry, PhD dissertation, College of Arabic Language, Imam Muhammad ibn Saud Islamic University, Saleh Al-Mahmoud: 1426 AH / 2005 CE.

Journals:

1. The Self in Confrontation with the World: Concepts of Alienation, Muhammad Dhaynun Al-Saigh, Journal of Social Affairs, Issue 89 / 2006 CE.